بسم الله الرحمن الرحيم

يسر موقع ميراث الأنبياء أن يقدم لكم تسجيلًا لدرسٍ في شرح أصول السنة

للإمام أحمد بن حنبل

-رحمه الله-

ألقاه فضيلة الشيخ الدكتور صالح بن سعد السحيمي

-حفظه الله تعالى-

ضمن فعاليات دورة الإمام محمد بن إبراهيم آل الشيخ الشرعية الأولى المقامة

بجامع خادم الحرمين بمدينة جازان في شهر ربيع الأول عام أربعة وثلاثين

وأربعمائة وألف هجرية نسأل الله -سبحانه وتعالى- أن ينفع به الجميع.

الدرس السادس

المتن:

قال الإمام أحمد بن حنبل – رحمه الله تعالى –: تعريف الإيمان عند السلف، فقال: وَالْإِيمَانُ قَوْلٌ وَعَمَلٌ، يَزِيدُ وَيَنْقُصُ كَمَا جَاءَ فِي اَلْخَبَرِ: ((أَكْمَلُ اَلْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا))

الشرح:

فهذا تعريف الإيمان عند السلف مختصرًا يقولون الإيمان قولٌ وعمل وهو المعروف عند أكثر أهل العلم قديمًا، أيام الإمام مالك، وأحمد، والبخاري، ومسلم، وسفيان، وغيرهم يقولون: "الإيمان قولٌ وعمل".

وبعض أهل العلم يقول: "الإيمان قولٌ وعمل واعتقاد" فيقولون: "الإيمان قولٌ باللسان وتصديقٌ بالجنان وعملٌ بالأركان" أو "قولٌ باللسان وتصديقٌ بالقلب وعملٌ بالجوارح".

ولا فرق بين التعريفين عند السلف الذين قالوا الإيمان قولٌ وعمل والذين قالوا قولٌ وعمل وتصديق، لأن التعريف الأول المختصر يشمل ما نص عليه في التعريف الثاني، وهذا مانص عليه أكثر أهل العلم الإيمان قولٌ وعمل،

قال الإمام البخاري – رحمه الله –: "أدركتُ ألفًا من العلماء يقولون الإيمان

قولٌ وعمل"، ويقول سفيان: "أدركتُ اثنين وستين عالمًا يقولون الإيمان قولٌ وعمل"،

وقد نُقل هذا عن عامة السلف، لاسيما بعد انتشار مذهب الإرجاء ومذهب الخوارج، فلو قرأت في كتاب الإيمان لابن أبي شيبة، أو الإيمان لأبي عبيد بن قاسم بن سلام، أو الشريعة للآجري، أو السنة لعبد الله بن الإمام أحمد، أو شرح السنة للبربهاري، شرح السنة للبغوي، شرح السنة لعبد الله بن الإمام أحمد، السنة لابن أبي عاصم، السنة للخلال، وغيرها من كتب السلف لوجدت مِئات النصوص المنقولة عن السلف تقول الإيمان قولٌ وعمل،

طيب كيف نقول إن التعرفين متوافقان؟ لأن من قال الإيمان قولٌ وعمل يعني بالقولِ قول اللسان وقول القلب، ويعني بالعمل عمل اللسان وعمل القلبِ وعمل الجوارح، وهو الذي يتضمنه قولهم الإيمان قولٌ وعمل وتصديق،

- فقول القلب: هو يقينه وتصديقه يدل له قول الله -تبارك وتعالى-: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّـهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ وقال تعالى: ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ﴾، وقال تعالى: ﴿أُولَـٰئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ وَالشُّهَدَاءُ عِندَ

﴿رَبِّهِمْ﴾ فالمسلم المؤمن يُصدق بقلبه تصديقًا جازمًا لا يعتريه شكٌ أبدًا، وكما قال - تبارك وتعالى -: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا﴾، أي تيقنوا ووصلوا إلى درجة علم اليقين، وعين اليقين، وقال -تبارك وتعالى-:﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ﴾ هذه أدلةُ قول القلب.

- وقول اللسان: هو النطق بالشهادتين، شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، معلومٌ أن النطق وحده لا يكفي بل لابد من النطق مع اليقين ولذلك يقول الله – عز وجل -: ﴿وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾، وقال تعالى: ﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ ﴾ فلابد أن يقولها القائلُ وهو عالمٌ بمعناها وعاملٌ بمقتضاها ظاهرًا وباطنا.

- ثم نأتي إلى عمل القلب: عمل القلب ما لا يؤدى إلا به، كالمحبة، والخوف، والرجاء والإنابة، والخشوع، والخضوع، والتوكل، ونحو ذلك، وأهمها أركان العبادة القلبية الثلاثة التي هي الخوف، والرجاء، والمحبة، هذه هي أركان العبادة القلبية لأنه لا يُعبد الله بالحب وحده ولا بالخوف وحده ولا بالرجاء وحده، ولذلك يقول السلف من عَبَدَ الله بالخوف وحده فهو حروريٌ خارجي، ومن

عَبَدَ الله بالرجاء وحده فهو مرجئ إباحي، ومن عَبَدَ الله بالحب وحده فهو زنديق كالذين يتعبدون ربهم بطريقة الغزل وما يسمونهُ بالعشق الإلهي والتتيم في ذات الله، وهذا تشبيهٌ لله لِمَّا يجبُ أن ننزه الله – تبارك وتعالى – عنه،

هذه بعض أعمال القلوب الخوف، والرجاء، والمحبة، الخشوع، والخضوع، والإنابة، والإخلاص وهي أكثر الأعمال أعمال القلوب.

- وأعمال اللسان: هي ما لا يؤدى إلا باللسان كتلاوة القرآن، والذكر، والتلبية، وقراءة العلم مثل دراسة السُنة، هذا كله من أعمال اللسان، كلُ عملٍ تتكلم به يُعتبر من عمل اللسان، كلُ خيرٍ تتكلم به يعتبرُ من عمل اللسان.
- وأعمال القلوب: هي ما لا تؤدى إلا به كالصلاة، والصوم، والزكاة، والحج، والجهاد وما إلى ذلك، فتبين بذلك أنه لا تعارض بين التعريفين عند السلف الذين قالوا هو قولٌ وعمل يشمل قول القائلين إنه قولٌ وعمل واعتقاد.

وسنعرضُ لتعريفات بعض الفرق إجمالًا ولن ندخل في التفاصيل لكن قبل أن أدخل أبدأ بفرقةٍ توافق السلف في التعريف وتخالفهم في المضمون وفي الحقيقة فمن هي هذه الفرقة ؟ من يجيب؟

طالب: الفقهاء.

الشيخ: لا ليسوا الفقهاء وافقوا المرجئة الغلاة من حيث اللفظ وإن كانوا لايقارنون بهم، أقول وافقوهم حتى مرجئة الفقهاء يقولون الإيمان هو التصديق والقول، ولا يدخلون العمل لكن هؤلاء يدخلون العمل، يقولون الإيمان قول وعمل واعتقاد غير أنهم يفارقون السلف في حقيقة الأمر.

طالب: الخوارج.

الشخ: أحسنت إذًا فيما فارقوا السلف؟

ما اسمك: إبراهيم حيدر

الشيخ: يقول أخي إبراهيم، إن الذين وافقوا السلف في التعريف وخالفوهم في المضمون هم الخوارج، هم يقولون الإيمان قول وعمل واعتقاد ثم ينتكسون بعد ذلك فيقولون الإيمان لا يزيد ولا ينقص، بل هو كلٌ لا يتجزأ إذا سقط منه شيء سقط كله، إذا فُقد شيءٌ من الإيمان عندهم بطل الإيمان بالكلية، ورتبوا على ذلك ماذا؟ ماذا رتبوا على هذا المعتقد قالوا وعمل واعتقاد لكن لا يزيد ولا ينقص بل هو كلٌ لا يتجزأ إذا سقط جزؤه سقط كله؟

طالب: رتبوا على ذلك تكفير صاحب الكبيرة

الشيخ: ما اسمك ؟

طالب: ماجد الكراني

الشيخ: جزاك الله خيرًا يقول الأخ ماجد فارقوا السلف أو رتبوا على هذا المعتقد تكفير مرتكب الكبيرة، فقالوا مرتكب الكبيرة كافر سواء كان مستحلًا أم لم يكن مستحلًا، ولم يفرقوا بين الكافر، وبين المؤمن الموحد الذي عنده شيء من الكبائر، وقد أخبر عنهم النبي -صلى الله عليه وسلم- منذ أن ظهر من؟ ذو الخويصرة التميمي ذو الثُدية عندما اعترض على قسمة النبي - صلى الله عليه وسلم - وقال إنها قسمة ما أريد بها وجه الله ((اعْدِلْ، فَقَالَ: وَيْحَكَ، وَمَنْ يَعْدِلُ إِذَا لَمْ أَعْدِلْ، لَقَدْ خِبْتُ وَخَسِرْتُ إِنْ لَمْ أَكُنْ أَعْدِلُ، فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، ائْذَنْ إِلَيَّ فِيهِ أَضْرِبْ عُنُقَهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: دَعْهُ، فَإِنَّ لَهُ أَصْحَابًا يَحْقِرُ أَحَدُكُمْ صَلاتَهُ مَعَ صَلاتِهِمْ، وَصِيَامَهُ مَعَ صِيَامِهِمْ، يَقْرَءونَ الْقُرْآنَ لا يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ، ثُمَّ لا يَعُودُونَ فِيهِ حَتَّى يَعُودَ السَّهْمُ إِلَى فُوقِهِ)) أي إلى المكان الذي انطلق منه وليس المقصود إلى فَوقه أي يرجع، المقصود فُوقِهِ وذكر أحاديث الخوارج الكثيرة التي منها أنهم كلاب النار، ومنها أنهم شرُ الخلق والخليقة ومنها

أنهم شر قتلى تحت أديم السماء وشر قتلى قتلاهم وخير قتيل من قتلوه وإن لمن قتلهم أجرا وإلى آخره، ولذلك استبشر عليٌّ -رضي الله عنه - عندما قاتلهم ووجد ذى الثُدية مقتولًا بينهم، وجدهُ سبحان الله حُرقُوص التميم وجدهُ بينهم، فاستبشر لأن النبي - صلى الله عليه وسلم - بشر بأن في قِتالِهم أجرا.

هؤلاء الخوارج:

يقولون إن مرتكب الكبيرة خالدٌ مخلد في النار حلال الدمُ والمال.

وافقتهم المعتزلة:

فقالوا هو في الدنيا لا مؤمن ولا كافر، وإذا مات على ذلك فهو خالد مخلد في النار يعني فارقوهم في الحال في العبارة فقط، واتفقوا معهم في المآل، اختلفوا معهم في الحال، واتفقوا معهم في المآل.

ثم جاءت المرجئة:

وقالوا الإيمان هو مُجرد التصديق، المُرجئة الغلاة، هو التصديق فقط فأخرجوا القول والعمل، ومعنى ذلك عند المرجئة أنهم لا يفرقون بين إيمان جبريل وأبي بكر الصديق وبين إيمان أفسقِ الناس فيقولون لا يضرُ مع الإيمان ذنبٌ كما لا تنفع مع الكفر طاعةٌ أو معصية وهم بذلك يكونون إباحيين.

ثم جاءت بعد ذلك الجهمية:

مُرجئة الجهمية وقالوا الإيمان مُجرد المعرفة، جهمُ بن صفوان يقول الإيمان مجرد المعرفة فقط، فإذا عرفت ربك فأنت مؤمن ولو لم تشهد ولو لم تقل ولو لم تصدق ولو لم تعمل، وبناءٍ على كلام جهمٍ الذي وافقه فيه فيما بعده ابن عربي الملحد يكون إبليس مؤمنًا لأنه يعرف الله، ويكون فرعون مؤمنًا لأنه يعرف الله، ويكون كل الكفار مؤمنين لأنهم يعرفون الله -تعالى الله عما يقولون علوًا كبيرا- وقد وافقه ابن عربي القائل بوحدة الوجود وقال إن فرعون كان أهدى من موسى عندما قال: ﴿فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ﴾ لأنه وصل إلى الحقيقة، وإن موسى لم يعرف ربه، إنما فرعون هو الذي عرف الله -تعالى الله عما يقولون علوًا كبيرا-.

ثم جاءت مرجئة الفقهاء وعلى رأسهم الأشعرية والماتردية:

فقالوا الإيمان تصديقٌ بالقلب وقولٌ باللسان.

عندي سؤال من يجب عليه؟ ما الفرق بين كلام المرجئة بشكلٍ عام الغلاة وبين مرجئة الفقهاء؟ وما الفرق بينهم وبين عقيدة الجهمية، وبين عقيدة المرجئة الذين يقولون الإيمان هو التصديق؟

ليست من ماهية الإيمان، يعني مرجئة الفقهاء من أجل أن نكون منصفين لايقولون بسقوط العمل بل العمل عندهم ماذا؟ واجب وشرط كمال، وإن كان بعض الأعمال قد تكون شرط كمال، لكن مرجئة الفقهاء يقولون كل الأعمال شرط كمال، جميع الأعمال شرط كمال، يعني لم يقل أحد مرجئة الفقهاء بسقوط ماذا؟ بسقوط العمل لكن يقولون ليس من ماهية الإيمان، إضافة الى أن المرجئة الآخرين الغلاة لا يقولون بالقول، يقولون مجرد التصديق أو مجرد المعرفة أو مجرد القول كما هي عقيدة الكرامية نسينا أن نذكرها قالوا الإيمان مجرد القول، لكن من مات ولم يعمل فهو خالد مخلد في النار، وافقوا الخوارج من جهة ووافقوا المرجئة أخرى كيف؟

الإيمان لايزيد ولا ينقص، الاكتفاء بأن الإيمان مجرد القول لا، الكرامية لا يقولون بالتصديق يقولون مجرد القول، ومقتضى كلام المرجئة أن يكون المنافقون مؤمنين لأن المنافقين يقولون لا إله إلا الله لكنهم يظهرون الإسلام ويبطنون الكفر، ومن هنا أكثر الكرامية وبالمناسبة الكرامية لا وجود لهم الآن فيما أعلم، وأظن حتى الجهمية الذين يقولون الإيمان مجرد المعرفة لا أدري هل لهم وجود أم لا، لكن هناك إطلقات عند بعض العوام إذا قلت له صلِّ يقلك يا أخي الإيمان

هنا في القلب والصلاة؟! إذاً هذا راجع الى قول المرجئة الغلاة الذي يقول هذا الكلام،

فإذا هذه خلاصة أقوال الناس في تعريف الإيمان لكن لن ندخل في مناقشة كل فرقة لأن الوقت لايتسع لذلك، ومن أراد التوسع في هذا فليرجع إلى كتب شيخ الإسلام ابن تيمية والتي لخصها ابن أبي العز -رحمه الله- في شرحه العقيدة الطحاوية لخص هذه الأقول فارجعوا إليها.

والإيمان يزيد وينقص هذه عقيدة أهل السنة، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، وعلى ذلك أدلة كثيرة آيات كثيرة وأحاديث لاتُعد ولا تحصى، وهناك قاعدة "كل ما دل على الزيادة يصلح أن يكون دليلا على النقصان" لأن ما قَبِلَ الزيادة قَبِلَ النقصان، انتبهوا الى هذه القاعدة قاعدة مهمة، لأنه قد يقول قائل نحن ما نجد قليل أدلة النقصان مع أنها موجودة سأذكرها، لكن أغلب الأدلة في الزيادة، لكن القاعدة العامة عند السلف "أن ما قبل الزيادة قبل النقصان، وما قبل النقصان قبل الزيادة" لذلك فإن أكثر الأدلة في الزيادة.

من الأدلة قول الله -تبارك وتعالى-: ﴿ويزْداد الّذِين آمنوا إِيمانًا مع ايمانهم﴾

وقال -تبارك وتعالى-: ﴿إِنّما المؤْمِنون الّذِين إِذا ذكِر اللهّ وجِلتْ قلوبهمْ وإِذا

تلِيتْ عليْهِمْ آياته زادتْهمْ إِيمانًا وعلىٰ ربِّهِمْ يتوكّلون﴾ وقال تعالى: ﴿نحْن نقصّ عليْك نبأهمْ بِالْحقِّ إِنّهمْ فِتْيةٌ آمنوا بِربِّهِمْ وزِدْناهمْ هدًى﴾ والآيات كثيرة في ذلك

ومن الأحاديث قول النبي -صلى الله عليه وسلم-: ((مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ)) فهذا يدل على أن الإيمان ينقص وقول النبي -صلى الله عليه وسلم-: ((يَخْرُجُ مِنْ النَّارِ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ خَرْدَلَةٍ مِنْ إِيمَانٍ)) فهذا دل على أنَّه ينقص حتى يكون مثل الخردلة أو مثقال الخردلة، وقول النبي -صلى الله عليه وسلم-: ((إِنَّ عَمَّارًا مَلِيءٌ إِيمَانًا إِلَى مُشَاشِهِ)) مامعنى المُشاش ماهو المشاش؟ مخ العظم يعني في داخل العظم ((إِنَّ عَمَّارًا مَلِيءٌ إِيمَانًا إِلَى مُشَاشِهِ)) ومن أعظم الآيات قول إبراهيم -عليه السلام-: ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَـٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾ أي ليزيد قلبه إيمانًا، وحديث حنظلة: ((لَوْ كُنْتُمْ كَمَا تَكُونُونَ عِنْدِي لَصَافَحَتْكُمُ الْمَلَائِكَةُ عَلَى فُرُشِكُمْ أَوْ عَلَى طُرُقِكُمْ)) فالإنسان عندما يسمع موعظة يتأثر وربما يبكي، ولكن إذا عافسَ الضياع والنساء والبنين يعني يتوسع قلبه بعض الشيء، ليس المعنى أنَّه يكفر أو يفسق لا، لكن الإيمان يزيد وينقص، والنصوص في مسألة زيادة الإيمان ونقصانه أكثر من أن تحصى،

والعملُ من الإيمان كما تقدم لنا من أقوال السلف منهم الإمام البخاري الذي قال: "أدركت ألفًا من العلماء يقولون الإيمان قول وعمل" من الأدلة على أن العمل من الإيمان قول الله -تبارك وتعالى- في سورة البقرة وفي أول الجزء الثاني من يجيب؟ أحسنتم -بارك الله فيكم- ﴿ وَمَا كَانَ اللَّـهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ ﴾ أي صلاتكم، ومن الأحاديث الدالة على أن العمل من الإيمان حديث شعب الإيمان: ((الإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ -أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ- شُعْبَةً، فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ لا إِلَهَ إِلا اللهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنْ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنْ الْإِيمَانِ)) والعجيب أنه في هذا الحديث هنا نكتة لطيفة أنَّه ذكر مثالًا لما يبطل الإيمان بتركه هو ماذا ؟ قول "لا إله إلا الله" الشهادة،

ومثالًا لما ينقص بتركه الإيمان الواجب وهو الحياء، والحياء شعبة من الإيمان،

ومثالاً لما ينقص بتركه الإيمان المستحب وهو إماطة الأذى عن الطريق،

يعني ذكر ما يدل على هذه الأمور الثلاثة، مايبطل بتركه الإيمان وهو الشهادتان، والصلاة في أصح أقوال أهل العلم كما سيأتي بعد قليل، ثم ذكر ماينقص الإيمان الواجب بتركه وهو الحياء وسائر الأعمال، ثم مثل لما ينقص به الإيمان المستحب وهو ماذا؟ وهو إماطة الأذى عن الطريق لذلك كان هذا

الحديث من أعظم الأدلة على دخول الإيمان في الأعمال وحديث وفد بن عبد القيس قال الإيمان: ((شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ وَإِقَامُ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ وَصَوْمُ رَمَضَانَ وَأَنْ تُعْطُوا الْخُمُسَ مِنْ الْمَغْنَمِ)) والحديث الذي أورده المؤلف -رحمه الله-: ((أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا)) وفي هذا موقف لأبي حنيفة -رحمه الله- استدل به بعض أهل العلم على أنه رجع عن القول بالإرجاء الذي عند الفقهاء وهو أنه لما قرأ عليه حماد بن أبي سليمان هذا الحديث وقال وهو في معرض البيان دخول الأعمال في الإيمان ((أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا)) فإذاً الخلق من الإيمان وهو عمل فقال رجل ألا تجيبه يا أبا حنيفة قال: "ويحك أجيبه وهو يقول قال الرسول – صلى الله عليه وسلم –" ولهذا فإن بعض أهل العلم استدل بذلك على رجوع أبي حنيفة – رحمه الله – عن إرجاء الفقهاء، أو عن القول بإرجاء الفقهاء،

ثم نص الإمام أحمد – رحمه الله – هنا على كفر تارك الصلاة والذي يدل عليه كلامه أنه كافر سواء تركها جاحدا لوجوبها أم تركها كسلًا وتهاونا، وهذا هو القول الصحيح الذي تعاضده الأدلة الصحيحة الصريحة، وجمهور الفقهاء يفصلون يقولون إن تركها جحدًا لها فهو كافر حلال الدم والمال، وإن تركها

متهاونا فهو فاسق يؤمر فإن امتثل وإلا قتل عند الجمهور، وحبس عند الإمام أبي حنيفة، والرواية الصحيحة عند أحمد بل إنه إجماع الصحابة بعد أن نذكر الآيات نبينه، من الآيات التي استدل بها القائلون بكفر تارك الصلاة قول الله -تبارك وتعالى-: ﴿ فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ ﴾ وقال تعالى: ﴿ فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ﴾ وقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: ((الْعَهْدَ الَّذِي بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ الصَّلَاةُ فَمَنْ تَرَكَهَا فَقَدْ كَفَرَ)) وجاء من حديث جابر بن عبد الله: ((بَيْنَ الرَّجُلِ وَبَيْنَ الشِّرْكِ وَالْكُفْرِ تَرْك الصَّلاةِ)) ونُقل عن عبد الله بن مسعود أنهم "كانوا لا يرون شيئًا تركه كفرًا سِوَى الصلاة" ، وقال عبد الله بن شقيق التابعي المشهور يقول: "كل من أدركت -يعني من الصحابة- لا يرون شيئًا تركه كفرًا سِوَى الصلاة" والذي يترجح عندي والله أعلم، هو كفر تارك الصلاة، وإن كان تركه تهاونا، وكذلك قتله، قتله ردة، يقتل ردة على الصحيح.

المتن:

وَخَيْرُ هَذِهِ اَلْأُمَّةِ بَعْدَ نَبِيِّهَا أَبُو بَكْرٍ اَلصِّدِّيقُ، ثُمَّ عُمَرُ بْنُ اَلْخَطَّابِ، ثُمَّ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ نُقَدِّمُ هَؤُلَاءِ الثَّلَاثَة كَمَا قَدَّمَهُمْ أَصْحَابُ رَسُولِ اَللَّهِ -صلى الله عليه وسلم-، لَمْ يَخْتَلِفُوا فِي ذَلِكَ، ثُمَّ بَعْدَ هَؤُلَاءِ اَلثَّلَاثَةِ أَصْحَابُ اَلشُّورَى اَلْخَمْسَةُ: عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، وَطَلْحَةُ، وَالزُّبَيْرُ، وَعَبْدُ اَلرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ، وَسَعْدٌ، كُلُّهُمْ يَصْلُحُ لِلْخِلَافَةِ، وَكُلُّهُمْ إِمَامٌ، وَنَذْهَبُ فِي ذَلِكَ إِلَى حَدِيثِ اِبْنِ عُمَرَ: كُنَّا نَعُدُّ وَرَسُولُ اَللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- حَيٌّ وَأَصْحَابُهُ مُتَوَافِرُونَ أَبُو بَكْرٍ ثُمَّ عُمَرُ ثُمَّ عُثْمَانُ ثُمَّ نَسْكُتُ

ثُمَّ مِنْ بَعْدِ أَصْحَابِ اَلشُّورَى أَهْلُ بَدْرٍ مِنَ اَلْمُهَاجِرِينَ، ثُمَّ أَهْلُ بَدْرٍ مِنَ اَلْأَنْصَارِ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اَللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- عَلَى قَدْرِ اَلْهِجْرَةِ وَالسَّابِقَةِ، أَوَّلًا فَأَوَّلًا، ثُمَّ أَفْضَلُ اَلنَّاسِ بَعْدَ هَؤُلَاءِ أَصْحَابُ رَسُولِ اَللَّهِ -صلى الله عليه وسلم-، اَلْقَرْنُ اَلَّذِي بُعِثَ فِيهِمْ. وَكُلُّ مَنْ صَحِبَهُ سَنَةً أَوْ شَهْرًا أَوْ يَوْمًا أَوْ سَاعَةً، أَوْ رَآهُ فَهُوَ مِنْ أَصْحَابِهِ، لَهُ مِنَ اَلصُّحْبَةِ عَلَى قَدْرِ مَا صَحِبَهُ، وَكَانَتْ سَابِقَتُهُ مَعَهُ، وَسَمِعَ مِنْهُ، وَنَظَرَ إِلَيْهِ نَظْرَةً، فَأَدْنَاهُمْ صُحْبَةً هُوَ أَفْضَلُ مِنَ اَلْقَرْنِ اَلَّذِينَ لَمْ يَرَوْهُ، وَلَوْ لَقُوا اَللَّهَ بِجَمِيعِ اَلْأَعْمَالِ، كَانَ هَؤُلَاءِ اَلَّذِينَ صَحِبُوا اَلنَّبِيَّ -صلى الله عليه وسلم- وَرَأَوْهُ وَسَمِعُوا مِنْهُ، وَمَنْ رَآهُ بِعَيْنِهِ وَآمَنَ بِهِ وَلَوْ سَاعَةً، أَفْضَلُ لِصُحْبَتِهِ مِنَ اَلتَّابِعِينَ، وَلَوْ عَمِلُوا كُلَّ أَعْمَالِ اَلْخَيْرِ.

الشرح:

هنا يتحدث المصنف -رحمه الله- عن الصحابة، وسيأتي تفصيل القول فيما يتعلق بالصحابة، لكن نبدأ من حيث بدأ لأنه بدأ بالخلفاء الراشدين، وذكر أنهم كانوا يقولون في عهد النبي -صلى الله عليه وسلم-: أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان، هذا من حيث الفضل، أما من حيث الخلافة فقد أجمع المسلمون على أن الخلفاء أربعة: أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان، ثم علي -رضي الله عنهم أجمعين-.

وأفضلهم أبو بكر الصديق الذي قال فيه النبي -صلى الله عليه وسلم-((يَأْبَى اللهُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلاَّ أَبَا بَكْرٍ)) وقال: ((مَا طَلَعَتِ شَمْسُ وَلاَ غَرَبَتْ بَعْدَ النَّبِيِّنَ والْمُرْسَلِينَ عَلَى أَفْضَلَ مِنْ أَبِي بَكْرٍ)) وقال: ((لَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا مِنْ أُمَّتِي أَحَدًا خَلِيلًا لاَتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ)) ولما سألته المرأة التي تستفتي قالت: ((إِنْ لَمْ أَجِدْكَ؟ قَالَ: إِنْ لَمْ تَجِدِينِي فَأْتِي أَبَا بَكْرٍ))

وقال بعض السلف: "ما سبقهم أبو بكر بكثير صلاة ولا صيام، ولكن بشيء وقر في قلبه" يقصد من ناحية النوافل، فأبو بكر هو خير هذه الأمة بعد رسولها -صلى الله عليه وسلم- بإجماع المسلمين أهل السنة، ولا يُعتد بقول الرافضة الإمامية الجعفرية الاثني عشرية المارقين الذين يسبون الشيخين ومعهما عثمان، أو

يكفرونهم، فإن هؤلاء مفارقون للمسلمين من قديم الزمان وليسوا على شيء من الدين.

فإذًا هذا هو أبو بكر، والذي أجمع المسلمون على خلافته بعد رسول الله بإشارات بل بما يشبه النص عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم-.

ثم يأتي عمر الفاروق، الذي فرَّق الله به بين الحق والباطل، والذي ما سلك فجًا إلا سلك الشيطان فجًا غيره، والذي نصر الله به الإسلام لما دعا النبي -صلى الله عليه وسلم- أن ينصره بإسلام أحد العمرين، والذي هاجر علنًا وأعلن هجرته -رضوان الله عليه- والذي فتح من الفتوحات ما لم يفتحه أحدٌ ولذلك لمح بذلك النبي -صلى الله عليه وسلم- في رؤياه الصادقة أنه رأى أبا بكر وعمر فأخذ أبو بكر بذنوبٍ أو ذنوبين والله يغفر له، ثم جاء عمر الفاروق يقول: ((فَلَمْ أَرَ عَبْقَرِيًّا يَفْرِي فَرْيَهُ)) وفُسر ذلك بأنه الفتوح التي فتح الله من الصين شرقًا إلى المحيط الأطلسي غربًا في أقل من ربع قرن، إذًا هذا هو عمر الفاروق والذي قال فيه النبي -صلى الله عليه وسلم- ((إِنْ كَانَ فِي الأُمَمِ مُحَدَّثُونَ وَإِنْ كَانَ فِي أُمَّتِي مِنْهُمْ أَحَدٌ فَهُوَ عُمَرُ)) محدثون أي ملهمون، وكثيرًا ما كان القرآن ينزل موافقًا

لرأيه -رضي الله عنه وأرضاه- في الخمر، وفي الأسرى، وفي حجاب أزواج النبي -صلى الله عليه وسلم-، وفي غير ذلك.

ثم يأتي ذو النورين عثمان بن عفان مجهز جيش العسرة من السابقين الأولين إلى الإسلام الخليفة الذي اختاره أهل الشورى، فبايعه المسلمون جميعا، والذي قال فيه النبي -صلى الله عليه وسلم-: ((أَلا أَسْتَحِي مِنْ رَجُلٍ تَسْتَحِي مِنْهُ الْمَلائِكَةُ)) وزوجهُ ابنتيه وقال بعد وفاتها: ((لو كان عندنا ثالثة لزوجناك إياها يا عثمان)) والذي بشره النبي -صلى الله عليه وسلم- على بلوى تصيبه.

ثم يأتي علي بن أبي طالب الذي أخبر رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أنه يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله، يفتح الله على يديه، علي بن أبي طالب الذي أذل الله في عهده الخوارج مصداقًا لقول النبي -صلى الله عليه وسلم- الذي خلف رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ليلة الهجرة.

ثم يأتي بقية العشرة المبشرين بالجنة وهم طلحة بن عبيد الله، والزبير بن العوام، وسعد بن أبي وقاص، وعبد الرحمن بن عوف، وأبو عبيدة بن الجراح ، وسعيد بن زيد بن نفيل -رضي الله عنهم أجمعين-.

ثم يأتي المهاجرون أو ذكر الإمام المهاجرين من أهل بدر ثم الأنصار من أهل بدر ثم بقية المهاجرين والأنصار ثم من أسلم من قبل الفتح ثم من أسلم من بعد الفتح هؤلاء كلهم فضلاء ومفضلون -رضوان الله عليهم أجمعين- وهم أصحاب رسول الله -صلى الله عليه وسلم- الذين بهم قام القرآن وبه قاموا وبهم نطق القرآن وبه نطقوا والذين أثنى الله -تبارك وتعالى- عليهم وترضى عنهم -سبحانه وتعالى- فقد قال -جل وعلا-: ﴿وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾[التوبة:١٠٠] وقال تعالى: ﴿لِلْفُقَرَاء الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾[الفتح:٢٩] هذا في حق المهاجرين، ثم قال: ﴿ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَـٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾[الحشر:٩] من هؤلاء؟ الأنصار ((آيَةُ الْإِيمَانِ حُبُّ الْأَنْصَارِ وَآيَةُ النِّفَاقِ بُغْضُ الْأَنْصَارِ)) ثم قال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[الحشر:١٠] وهنا

لمن جاءوا بعدهم من الصحابة، وكذلك يشمل التابعين الذين صاروا على نهجهم بعد ذلك، لكن من حيث الفضل لا يعدل فضل الصحابة أحدٌ أبدا، فإن أدناهم صحبة وأقلهم صحبة خير من أفضل واحد من التابعين، لأنهم أصحاب رسول الله الذين اكتحلت أعينُهم برؤيته وآمنوا به،

ولذلك فإن الصحابي: "من رأى النبي -صلى الله عليه وسلم- ولو مرة واحدة مسلمًا ومات على ذلك" وهم يربون على مائة وعشرين ألفا -رضي الله عنهم وأرضاهم- وأخزى الله من أبغضهم، فمن سب واحدًا منهم فهو مبتدع ومن كفرهم فهو كافر، ومن اعتقد ارتدادهم فهو مرتد، أصحاب النبي -صلى الله عليه وسلم- الذين جاءوا بالحق، الذين نقلوا لنا الوحي عن رسول الله؛

ولذلك بدأ الشيخ -رحمه الله- بالثناء على الصحابة والحث على التمسك بطريقتهم، ثم ذكر هنا فيما قبل الأخير بقليل، ذكر الصحابة ومنزلَتهم، وما يجب على المسلم نحوهم، وكنا قد لخصنا أظن في بداية أول درس، ما يجب على المسلمين نحوهم أليس كذلك؟ أو لم نذكر ؟!

إذًا نُلَخص ما يجب اعتقاده تجاه الصحابة:

أولًا: الترضي عنهم جميعا بلا استثناء، قد ترضى الله عنهم -عز وجل- فقال: ﴿رَّضِيَ اللَّـهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾[التوبة:١٠٠] كما تقدمت في الآية، والآية الأخرى: ﴿ لَّقَدْ رَضِيَ اللَّـهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ ﴾[الفتح:١٨].

ثانيًا: محبتهم وموالاتهم جميعا، فمن أحبهم فقد أحب الله ورسوله، ومن أبغضهم فقد أبغض الله ورسوله.

ثالثًا: اعتقاد عدالتهم جميعا، الصحابة كلهم عدول، حتى وإن بدر منهم ما بدر كلهم عدول بدون استثناء، اعتقاد عدالتهم -رضي الله عنهم-.

رابعًا: اعتقاد فضلهم على سائر الأمة بعد رسول الله -صلى الله عليه وسلم- اعتقادهم أنهم أفضل الأمة بعد رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، أفضل الأمة على الإطلاق بعد رسول الله -صلى الله عليه وسلم-

أولا: ما سمعنا من الآيات في فضلهم، ما تقدم من الآيات في فضلهم هذه كلها أدلة على ذلك

ثانيا: قول النبي -صلى الله عليه وسلم-: ((لاَ تَسُبُّوا أَصْحَابِي؛ فَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَوْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلَا نَصِيفَهُ)) وقوله -صلى الله عليه وسلم-: ((خَيْرُكُمْ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ))

خامسًا: الكف عن ما شجر بينهم ووكل أمورهم وما جرى بينهم إلى الله -سبحانه وتعالى- فلا يجوز أن نلوك الصحابة أو أن نتكلم بسب الفتنة التي أثارها اليهودي الملعون عبد الله بن سبأ بن السوداء الذي أوجد فتنة نتجت عنها بعض الحروب بين الصحابة في صفين والجمل، وكلهم مجتهدون منهم من هو مجتهد مصيب كعليّ -رضي الله عنه-، ومن ناوءه فهم مجتهدون ماذا؟ مخطئون وهم معذرون في ذلك، لأنهم لم يقاتلوا عن هوى، لم يكن ذلك عن هوى أبدا وإنما بسبب تلك الفتنة التي أشعلها عدو الله ابن سبأ،

فالكف عما شجر بينهم واجب بل إن كلًا منهم بعد أن انتهت تلك الفتنة يثني على الآخر، يقول علي-رضي الله عنه-: "أني لأرجو أن أكون أنا وطلحة والزبير -وفي روايةً أسمع بها ولم أقف عليها أنه قال ومعاوية- أرجو أن نكون ممن قال الله فيهم :﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ﴾ " ولا يجوز الخوض في كتب التاريخ التي شوهت سمعتهم وفيها من الأكاذيب من

رواية الواقدي والكلبي وغيرهم في تاريخ اليعقوبي والمسعودي وصاحب الأغاني وغير هذه الكتب الملفقة ولاسيما ما يتعلق بالصحابة، فكثير مما ذُكر لا أصل له ولا حقيقة له، ولاسيما ما نسج حول تحكيم الحكمين، التحكيم صحيح لكن ليس بصحيح أن أبا موسى -رضي الله عنه- قال "أنا أخلع عليّ ومعاوية"، أو أن عمرو قال: "أخلع عليّ وأثبت معاوية" ده كله غير صحيح، كل هذا غير صحيح وإن وجدتموه في كتب التاريخ، لا نصدق كل ما يجري في التاريخ، التاريخ مليء بالخرافات وبالهراء وبالدجل وبتشويه سمعة أصحاب النبي -صلى الله عليه وسلم- لاسيما تواريخ الرافضة مثل تاريخ المسعودي واليعقوبي وغيرهما من كتب التاريخ المضللة، والتي حشيت بلاءً وكل كتب التاريخ حتى يعني بعضها، وإن كانت ذكرت بأسانيدها ووضح ما فيها مثل ابن كثير وابن الأثير، لكن فيها ما فيها أيضًا نقلت بعض الأشياء التي لا تصح، فلا نعتمد على كل ما ذكر في التاريخ، ولذلك هناك منهج وجد في الجامعة الإسلامية وهو دراسة كتب التاريخ دراسةً حديثية حتى لا يُنسب إلى الرعيل الأول من هم بريئون منهم فهمنا، يعني ننتبه التاريخ يُعرض على ضوابط معينة حتى يعرف صحيحه من سقيمه لأن التاريخ مليء بالأكاذيب وما أكثر ما فيه من أكاذيب، هو أدق الكتب

بلا شك ابن كثير، وابن الأثير، وتاريخ الذهبي وغيرها، لكن فيها ما فيها أيضًا، ونبه عليها العلماء، أما تاريخ اليعقوبي وتاريخ المسعودي فهذان التاريخان فيهما أو جُلُهما ضلال مبين فيهما افتراءات على الصحابة، وكذلك بعض كتب الأدب مثل كتاب الأغاني لأبي فرج الأصفهاني الرافضي، وغيرها مُلئت من الأكاذيب، ومن الخطورة بمكان أن نصدق كل الروايات التاريخية، الذين أساءوا إلى الصحابة في هذا العصر من المنتسبين إلى أهل السنة مثل صاحب الظلال، وصاحب الخلافة وملوكية ونحو ذلك إنما اعتمدوا على هذه الكتب الضالة، ما رجعوا إلى الحديث ولا إلى السنة ولا إلى كتب التاريخ الموثوقة، فوقعوا في أعراض الصحابة، منهم من سب عثمان ومعاوية، وهم يَدّعون أنهم من أهل السنة، أنا لا أتكلم عن الرافضة لا يستغرب من الرافضة سبهم للصحابة، وإنما يستغرب من أُناس كُتابٍ معاصرين بعضهم يوصف بأنه شهيدٌ من الشهداء، ونحنُ نقول أفضى إلى ما أفضى إليه ولكنه جاهل لا يؤخذ عنه العلم، نحنُ لا نكفره، لكن نقول إنه جاهل بالعقيدة فقد وقع في القول في وحدة الوجود، وكفر الصحابة في كتابه كُتب وشخصيات، وكتابه العدالة الاجتماعية، وكفر جميع المسلمين عند قول الله -تبارك وتعالى-: ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّـهُ شَهِيدٌ بَيْنِي

وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَـٰذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُم بِهِ وَمَن بَلَغَ ﴾[الأنعام:١٩] وقال عن نبي الله موسى إنه عصبي المزاج، ما سلِم من الكُتاب هؤلاء حتى الأنبياء والمرسلين ثم نأتي نحنُ وندافع عنهم ونبجلهم ونقول إنهم شهداء! لا، نحنُ لا نتكلم في مصيرهم ومآلهم، انتبهتم إلى هذا التحفظ حتى لا يُفترى علينا كما افتُرِيَ سابقًا، لا نتكلم في مصيرهم ولا في عذرهم عند ربهم لعلهم جُهال فيعذرون الله اعلم بحالهم، لكن هل تجوز قراءة كتبهم وفيها هذا البلاء؟ لا لا تجوز قراءتها البتة، كُتب فيها تكفير الصحابة، وفيها النيل من الأنبياء، وفيها تكفير المسلمين يقول جميع المسلمين قد ارتدوا عن لا إله إلا الله بما في ذلك أيضًا أئِمة المساجد في جميع البلاد الإسلامية، وهو أصل عقيدة أهل الفكر التكفيري المعاصر، كُلهم قد أخذوا عقيدتهم منه ولم يأخذوها عن منهج الصحابة والتابعين، كفى بتلك الكتب ضلالًا أن أصحابها يلغون في صفوة هذه الأمة بعد رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وهم الصحابة، يقولون عن عثمان إن خلافته فجوةٌ بين خلافتين، إن فترته فجوة ضائعة بين خلافتين، ويقولون عنه إنه مُحابي وأنه ظالم وأنه، وأنه، عثمان ذي النورين يُقال عنه هذا الكلام وهذا في كتبهم لن نفتري عليهم كما افترى أتباعُهم علينا، هذه كتبهم تنطق بذلك ويقولون عن معاوية، وعمرو بن

العاص يقولون هؤلاء مثال لبيع الذمم والكفر والضلال إلى آخره،

أختم بأنه جاءني مرة بحث من بلد ما من بلاد المسلمين من دولةٍ آخرى يريدون أن أقومهُ ويريد أن يرقى به إلى أستاذ مشارك الباحث، وهو خمسة وأربعين صفحة بعنوان "خدعة التحكيم" الخمسة وأربعين صفحة كُلها سبٌ في معاوية وعمرو بن العاص، لكن أُبشركم أنه رجع كتبت له معها قرابة عشرين صفحة تقويمًا للبحث وطالبت منه الرجوع وأن هذه من الكتب الفلانية والفلانية وكُلها دجل وهؤلاء صحابة وذكرت النصوص والأحاديث فرجع ولله الحمد، فانظر هؤلاء يأخذون ما يجدون في كتب التاريخ يأخذونهُ وكأنه قرآنٌ أو سنة وهذه هي المصيبة.

الخلاصة يا إخواني: أن الصحابة حِمى، يجب الوقوف عند هذا الحمى ((أَلا وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًى، أَلا وَإِنَّ حِمَى اللهِ مَحَارِمُهُ)) والصحابة هم صفوة هذه الأمة اتقوا الله فيهم وذبوا عنهم واقرءوا ما كُتب في فضائلهم،

يقول عمر بن عبد العزيز -رحمه الله-: "أولئك الذين طهر الله سُيوفنا وأيدينا من دمائهم فلنطهر ألستنا من أعراضهم" فاتقوا الله في أصحاب رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ولا تأخذكم العاطفة لبعض الناس.

المتن:

وَالسَّمْعُ وَالطَّاعَةُ لِلْأَئِمَّةِ وَأَمِيرِ اَلْمُؤْمِنِينَ البَـــرِّ وَالْفَاجِرِ، وَمَنْ وَلِيَ اَلْخِلَافَةَ، وَاجْتَمَعَ اَلنَّاسُ عَلَيْهِ، وَرَضُوا بِهِ، وَمَنْ عَلَيْهِمْ بِالسَّيْفِ حَتَّى صَارَ خَلِيفَةً، وَسُمِّيَ أَمِيرَ اَلْمُؤْمِنِينَ.

الشرح:

هنا يتحدث الإمام -رحمه الله- عن وجوب السمع والطاعة لمن ولاه الله أمرنا سواءٌ كان خليفة اختير من قِبل أهل الحل والعقد كما اختير أبو بكر -رضي الله عنه- أم بعهدٍ ووصيةٍ من خليفةٍ سابق كخِلافة عمر -رضي الله عنه- .

أو اختاره أهل الشورى كاختيار أمير المؤمنين عثمان -رضي الله عنه-

أو أجمع عليه أهل الحل والعقد من المسلمين كاختيار عليّ -رضي الله عنه-

تلك الخلافة مُدتُها ثلاثون عامًا وقد أخبر النبي -صلى الله عليه وسلم- بأنها ستنقضي في ثلاثين عامًا فقال: ((الْخِلَافَةُ ثَلَاثُونَ)) من حديث سفينة -رضي الله عنه-: ((ثُمَّ مُلْكٌ بَعْدَ ذَلِكَ)) عضوض، وهؤلاء الخلفاء هم الذين قال فيهم النبي -صلى الله عليه وسلم- ((عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الْمَهْدِيِّينَ الرَّاشِدِينَ تَمَسَّكُوا بِهَا وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ)) ومن تولى بعدهم سواءٌ تولى بالغلبة أو

نصَّبهُ المسلمون بأي طريقة كانت، وساسهم بكتاب الله وسنة رسوله -صلى الله عليه وسلم- فإن طاعته مُتعينة وواجبة برًا كان أو فاجرًا، عادلًا كان أو ظالما، فيجبُ أن يُسمع له وأن يُطاع في حدود طاعة الله -تبارك وتعالى- قال الله -عز وجل-: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّـهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ﴾ وأولي الأمر هنا هم الأُمراء أو الخُلفاء أو الحُكام المسلمون أيًا كانوا، ومهما كان أصلهم وفصلُهم يقول النبي -صلى الله عليه وسلم-: ((أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، وَإِنْ تَأَمَّرَ عَلَيْكُمْ عَبْدٌ)) وفي رواية: ((وَإِنْ اسْتُعْمِلَ عَلَيْكُمْ عَبْدٌ حَبَشِيٌّ مُجَدَّعَ الْأَطْرَافِ كَأَنَّ رَأْسَهُ زَبِيبَةٌ)) وهذه أحاديث مخيفة جدًا في هذا الباب، ويقول النبي-صلى الله عليه وسلم-: ((مَنْ أَطَاعَنِي فَقَدْ أَطَاعَ اللهَّ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ عَصَى اللهَّ، وَمَنْ أَطَاعَ الْأَمِيرَ فَقَدْ أَطَاعَنِي وَمَنْ عَصَى الْأَمِيرَ فَقَدْ عَصَانِي)) ويقول-صلى الله عليه وسلم-: ((أَطِيعُوهُمْ مَا أَقَامُوا فِيكُمُ الصَّلاةَ)) ويقول -صلى الله عليه وسلم- من حديث عبادة: ((عَلَى الْمَرْءِ الْمُسْلِمِ السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ، فِيمَا أَحَبَّ أَوْ كَرِهَ)) ويقول النبي-صلى الله عليه وسلم- للأنصار: ((إِنَّكُمْ سَتَجِدُونَ أَثَرَةً شَدِيدَةً، فَاصْبِرُوا حَتَّى تَلْقَوَا اللهَّ وَرَسُولَهُ فَإِنِّي عَلَى الْحَوْضِ)) ويقول -صلى الله عليه وسلم-: ((تَسْمَعُ وَتُطِيعُ لِلأَمِيرِ وَإِنْ جُلِدَ

ظَهْرُكَ وَأُخِذَ مَالُكَ)) ويقول -صلى الله عليه وسلم- من حديث عبادة: ((دَعَانَا النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَبَايَعْنَاهُ فَقَالَ فِيمَا أَخَذَ عَلَيْنَا أَنْ بَايَعَنَا عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فِي مَنْشَطِنَا وَمَكْرَهِنَا وَعُسْرِنَا وَيُسْرِنَا وَأَثَرَةً عَلَيْنَا وَأَنْ لَا نُنَازِعَ الْأَمْرَ أَهْلَهُ إِلَّا أَنْ تَرَوْا كُفْرًا بَوَاحًا عِنْدَكُمْ مِنْ اللهِ فِيهِ بُرْهَانٌ)) ويقول -صلى الله عليه وسلم-: ((وَمَنْ خَرَجَ مِنْ أُمَّتِي عَلَى أُمَّتِي يَضْرِبُ بَرَّهَا وَفَاجِرَهَا لَا يَتَحَاشَى مِنْ مُؤْمِنِهَا وَلَا يَفِي بِذِي عَهْدِهَا فَلَيْسَ مِنِّي)) والإمام الذي له في عنقك بيعة يحرُم عليك نقضُها تحت أي ظرف من الظروف ولو كان فاسقًا أو ظالما، وهؤلاء الصحابة لَمَّا وقع ما وقع من الفتن وعلى رأسهم عبد الله بن عمر، لَمَّا وقع ما وقع تجنبوها فلما استقر الأمر لعبد الملك بن مروان، أخذ أبناءهُ أعني عبد الله بن عمر وبايع أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان، ولَمَّا تنازل الحسن -رضي الله عنه- لمعاوية -رضي الله عنه- في عام واحد وأربعين هذا العام الذي سُمي عام الجماعة، وقد بشر النبي -صلى الله عليه وسلم-أن هذا الاجتماع سيحصل على يد الحسن -رضي الله عنهما- قال: ((ابْنِي هَذَا سَيِّدٌ وَلَعَلَّ اللهَ أَنْ يُصْلِحَ بِهِ بَيْنَ فِئَتَيْنِ مِنْ الْمُسْلِمِينَ)) وقد تم ولله الحمد والمنة، فالواجب على جميع المسلمين أن يسمعوا ويطيعوا لولي الأمر المسلم وأن يناصحوه بالطرق الشرعية، يطيعونه في حدود

طاعة الله فإن أمر بمعصيةٍ فلا سمع ولا طاعة ((لا طَاعَةَ لِمَخْلُوقٍ فِي مَعْصِيَةِ الْخَالِقِ)) ولكن عندنا سؤال مع كوننا لا نسمع ولا نطيع في المعصية هل يسقط ذلك حقوقه الأخرى؟ لا يُسقطُها بل تبقى تلك الحقوق ولذلك يقول النبي -صلى الله عليه وسلم-: ((أَدُّوا الْحَقَّ الَّذِي عَلَيْكُمْ، وَسَلُوا اللهَّ الَّذِي لَكُمْ)) فأين يهرب الناس الُمحرضون بلسان حالهم أو بلسان مقالهم، أو بكتاباتهم، أو بتغريداتهم أين يذهبون عن هذه النصوص، نعم وجد من المبتدعة المعاصرين من يؤولها لا سيما زعماء التكفيريين والخوارج، والخوارج القعدة الذين يُفتون وهم مندسون حرفوا هذه الأحاديث، وبدلوها ومنهم من ضعفها، ونحن نقول: "إذا جاء نهر الله بطل نهر معقل" إذا صحت الأحاديث لا نلتفت إلى أقوال المخالفين من المبتدعة، والمارقين وإنما علينا أن نعمل بحديث النبي -صلى الله عليه وسلم- وبِناءً على ذلك فإني أؤكد على ما ذكره علماؤنا من تحريم المظاهرات والاضرابات، والاعتصامات التي هي أولًا من مبادئ اليهود والنصارى، ومما قرره زعماء الماسونية قبل مئات السنين ليفصلوا بين الأمة وحكامهم وبينهم وبين علمائهم فهي مبدأ مستورد، مبدأ غوغائيٌ مستورد، إذا كان لك حقٌ فطالب به بالطرق المشروعة، إن حصلت عليه وإلا سوف ينصفك الله يوم لاينفع مال ولا

بنون إلا من أتى الله بقلب سليم، أما أن تُثير وتهيج وتفسد في الأرض وتغمز وتلمز في الصحف، وفي تويتر وفي غيرها فهذا من مسلك الخوارج، والعجب كل العجب وما أكثر العجائب أن يلتقي في هذا المبدأ كل من الخوارج، الرافضة، والمتصوفة، والعلمانيون المارقون كلهم يلتقون على هذا المبدأ وهو الغمز واللمز وإنكار الأحاديث التي تأمر بالسمع والطاعة، والمسلم الحق هو الذي يُقدم هدي النبي -صلى الله عليه وسلم- على ما سواه لا يلتفت إلى شيء من هذا الهراء الذي تتعاون عليه هذه الفئات من الخوارج، والعلمانيين، والليبرالين، والمتصوفة والرافضة وغيرهم من المخالفين لأهل السنة والجماعة، وبعض هؤلاء الذين يدَّعون يعترضون باسم الدين تجدهم يبايعون بعض عُباد القبور، ويتخذونهم زعماء لهم، لأن التوحيد قد مُسخ من قلوبهم، وإن كانوا في الأصل من أهل التوحيد، وممن درسوا التوحيد.

أتاني هواها قبل أن أعرف الهوى *** فصادف قلبا خاليا فتمكنا

فأوصيكم يا إخوتاه بالجد والاجتهاد في طلب العلم الشرعي، وملازمة العلماء الربانيين، العلماء الكبار، العلماء المتحرين للحق بدليله، الذين لم يدخلوا في هذه

الفتن علينا أن نلازمهم، وأن نأخذ الحق عنهم بدليله، وأن نلتحم معهم، ومع ولاة أمورنا،

نسأل الله -تبارك وتعالى- أن يحفظ بلدنا من جميع الفتن ما ظهر منها وما بطن

وأن يرد كيد الكائدين،

وأن يرينا الحق حقا ويرزقنا اتباعه والباطل باطلا ويرزقنا اجتنابه،

وأن يرزقنا وإياكم العلم النافع والعمل الصالح، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الأسئلة:

السؤال:

أحسن الله إليكم كثرت الأسئلة عن الصحابي الجليل معاوية بن أبي سفيان -رضي الله عنهما- وما صار في بعض القنوات في الطعن فيه وفي أبيه -رضي الله عنهما- فهل من كلمة توجيهية حيال ذلك؟

الجواب:

معاوية بن أبي سفيان -رضي الله عنهما- هو خال المؤمنين، أخو أم حبيبة رملة بنت أبي سفيان، إذًا هو خال المؤمنين، ومن كتّاب الوحي، وحي رسول الله -

صلى الله عليه وسلم- وممن فتح الله عليه كثيرًا من الفتوح بقيادته، وممن أصلح الله به المسلمين قرابة عشرين عاما في خلافته، واجتمعوا عليه ودعوا له، معاوية خال المؤمنين،

يقول أيوب السختياني: "امتحنوا الناس بمعاوية" بمعنى من وجدتموه يحب معاوية -رضي الله عنه- ويترضّى عنه -رضي الله عنه- فهو المؤمن، ومن لم يكن كذلك فهو المبتدع، ونحن لا نتكلم عن الرافضة ومن نهج نهجهم، لكن يُؤسَف أن يتكلّم فيه بعض أهل السنة ويغمز بعض أهل السنة في معاوية وأبيه أبي سفيان، كالكلمة الصعبة التي أطلقها أحدهم قريبًا في بعض المواقع وللأسف، وإننا لندعوه من هذا المنبر إلى التوبة، ذكر قصة لا أريد أن أطيل بسردها نسبها إلى معاوية وإلى أبي سفيان، ثم زعم أن عمر -رضي الله عنه- قال: ابنك يسرق في الشام - يعني معاوية - وأنت تسرق هنا في المدينة - يعني أبا سفيان - وهذا كذب ودجل وسفه ولا يجوز أن يقوله مسلم، وهؤلاء الكتاب المساكين أحيانًا يطلقون كلمة يمكن أنهم لم يدركوا خطورتها، ولكن هل يليق بك وأنت طالب علم وموجّه وداعية ويغتر الناس بكلامك، أن تنال من أصحاب نبينا محمد -صلى الله عليه وسلم- ؟! ماذا تريد؟؟ تريد أن ترضي الرافضة؟ ماذا تريد؟! وقال

هذا الكاتب نفسه عن الأقرع بن حابس يقول: انظر إلى هذا المهبول يعني -أعوذ بالله- كلام يقشعرّ منه بدن كل مؤمن، هؤلاء الصحابة حِمى،حِمى فانتبهوا واقدروا لهم قدرهم، واتقوا الله في أصحاب نبيكم -صلى الله عليه وسلم- ؛ فإنهم نقلة هذا الدين وحملته وهم الذين بلغوه مع الفهم الصحيح لدلالة الكتاب والسنة،

وفقني الله وإياكم للعلم النافع والعمل الصالح،

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

للاستماع إلى الدروس المباشرة والمسجلة ومزيدٍ من الصوتيات يُرجى زيارة موقع "ميراثُ الأنبياء " على الرابط

www.mirath.netوجزاكم الله خيرا